تذكرة القلوب

في مراقبة علام الغيوب

تذكرة القلوب حق ألي عمر

تأليف

شيخ محمد جميل جاهو

المشهور بأنكوجاهو

ALI UMAR II

الطبعة الرابعة

- يطلب من مكتبة « نوسنتار » بوكت تغكي -

١٣٧٦ طبع بمطبعة « نوسنتار » بوكت تغكي ١٩٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على سيدنا محمد اشرف الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين.

أما بعد فلما طال عمرى وهو ثمانية وخمسون سنة ولم يتأثر قلبى بعلمى ولا يزداد هدا مع ازدياد العلم بل كلما زاد العلم زاد القلب رغبة فى الدنيا وكسلا فى العبادة تفكرت وتأملت فى أسبابه فوجدت ان سببه فقدان المراقبة وعدم ملازمة التفكر مع ضعف اليقين والتثبت مع الله بل القلب كل يوم وليلة مكبل بالشهوات والخطايا والذنوب وتحققت بأنى لو لا رحمة الله الواسعة ما صدق قوله صم: أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه، وقوله صم: من ازداد علما ولم يزدد هدا لم يزدد من الله إلا بعدا.

وقول امامنا الشافعى رحمه الله تعالى:

اذا لم يزد علم الفتى قلبه هدا * وسيرته عدلا واخلاقه حسنا

فبشره ان الله اولاه نقمة * ينكل بها من قبل من عبد الوثن

فأردت ان أألف هذه الرسالة الصغيرة تذكرة لى ولامثالى وسميتها «تذكرة القلوب فى مراقبة علام الغيوب».

هذا اوان الشروع فى المقصود وبالله التوفيق واليه انيب.

اعلم ان العلم الذى ينفع صاحبه هو العلم بالله تعالى وصفاته واسمائه والعلم بكيفية التعبد له والتأديب بين يديه. قال مالك رضى الله عنه: ليس العلم بكثرة الرواية وانما العلم نور يقذفه الله فى القلوب وإنما منفعة العلم ان يقرب العبد من ربه ويبعده عن رؤية نفسه وذلك غاية سعادته ومنتهى طلبه وارادته - اه شرح حكم.

كتاب المراقبة

يا ايها الانسان ان اردت ان تكون صالحا ناشطا فى العبادة وتصير عبدا حقيقيا محبوبا عند الله فلابد لك من مراقبته كل وقت من أوقاتك وكل ساعة من ساعات يومك وليلتك وكل حال من أحوالك يعنى وقت الرخاء والشدة والمرض والصحة والفقر والغنى وغيرها من الاحوال ومعنى المراقبة ان تنظر الله تعالى بعين قلبك وتعتقد اعتقادا جازما بأن الله ربك وخالقك ومعبودك ومطلوبك عالما بظاهرك وباطنك وناظرا الى جميع حركاتك وسكناتك فى الطاعات والمعصية وانك فى حالة جهارك وخلوتك بين يدى الله سبحانه وتعالى وعلمه . قال تعالى : عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى السَّمَاوَاتِ وَلَا فِى الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ . وله قدرة مغايرة لجميع القدرة الحديثة بل لا قدرة لغيره تعالى حقيقة انظر الى انه خلق السماوات بغير عمد وخلق الابل والبقر وغيرهما من الحيوان البرى والبحرى والجبل والارض كل ذلك لا نقدر نحن ان نخلقه ولا غيرنا وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالنظر الى عجائب قدرة الله فقال : افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت ، وان قدرته نافذة فى كل شىء فلا مانع له ان يعذبك

بأنواع العذاب الاليم اذا عصيته وان يثيبك بأنواع الثواب اذا اطعته قال: انَّ اللهَ عَلى كُلِّ شيْءٍ قَدِيرٌ وَهوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ.

واعلم ايضا ايها الانسان ان علم الله سبحانه وتعالى محيط بكل شىء لا يمنعه شىء ولا يحجبه بعد ولا جبل ولا ظلمات فلا يخفى عليه شىء ولو كان تحت الارضين السبع او فوق السموات السبع وكذلك قدرته لا يعارضها شىء ولو كان حديدا وجبلا كبيرا عاليا يعنى لو اراد الله ان يلين الحديد او يقطعه ويهلك او اراد ان يهدم الجبل لكان كل منهما طائعا لا يقدر ان يدفعه عنه وكذلك له سمع وبصر كل منهما يغاير سمع وبصر الحوادث. فالله سبحانه وتعالى يسمع ويبصر كل شىء ولو بعيدا فالقريب والبعيد سواء بالنسبة الى سمعه وبصره وايضا ان الله يسمع الاجسام كما انه يسمع الاصوات ويبصر باطن الشىء كظاهره قال تعالى: وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ الاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ الاَّ فِى كِتَابٍ مُبِينٍ وَهوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

فاذا حصل لك المراقبة كما تقدم وتحققت فيها واستقمت عليها حصل لك الخوف والرجاء وهما سببان قويان لاداء العبادة تماما واخلاصا وسهل لك الامر فى العبادة وصارت العبادة لك لذيذة انظر مثلا ان العبد اذا اشتغل بالامر الذى امره سيده وهو جازم بأن سيده ناظر اليه وعالم وسميع وبصير وقادر عليه وايضا هو جازم بأن المضرة والمنفعة من يد سيده فلا بد ان يكون قلبه خائفا

خاشعا وراجيا ولايفعل ما امره سيده الامجد واجتهاد فيكون تماما لانقصا اخلاصا لارياء هذا امر مشاهد وكذلك انت اذا كنت حاضر القلب مع ربك صرت خايفا خاشعا راجيا وفعلت ما امرك به تماما واخلاصا ويصدق عليك حينئذ قوله تعالى اذا صليت أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي وكانت صلاتك ناهية لك عن الفحشاء والمنكر كما قال تعالى: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ.

باب فى أسباب المراقبة

(الفصل الاول) تفكر وتذكر فى بدء الخلق بأن يتفكر الانسان من اى شىء خلقه الله تعالى وكيف هو وقد امرنا الله بذلك قال سبحانه وتعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ انظر ايضا ان الله خلق اباك آدم من طين فجعل نبيا ثم جعلك وخلقك من ماء مهين حتى صرت انسانا كاملا مكرما فى احسن الخلق واحسن الصور كما قال وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ فاذا تأملت وتفكرت فى اصلك وهو شىء خسيس ذليل قذرة ساقط عن اعين الناس فهل ينبغى لك ان تتكبر على مولاك العظيم ومالكك الكريم وهل يليق لك ذلك وكيف تجراء عليه بترك ما امرك به

او يفعل ما نهاك عنه كلا وحاشا وايضا ان الله قد جعلك من الاصل الخسيس الذليل انسانا كاملا كريما مكرما فى احسن التقويم كما قال تعالى: لَقَدْ خَلَقْنَا الانْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ، فهذا الجعل نعمة عظمية عليك من خالقك فيجب عليك شكرها بأداء ما يجب عليك اداؤه وما يسن لك فعله وبترك ما يأمرك بتركه من المحرمات والمكروهات وكل ما لاينفعك في دينك من الامور الدنيوية فعدم الشكر حجاب بينك وبين الله وعذاب اليم لك وغضب من ربك قال الله تعالى: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ اِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ، وفى الاخرى وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ لَاُعَذِّبَنَّكُمْ. الا تخاف الله العزيز ان تقابل نعمته عليك بالكفر وبالعمل السيء الاتستحى من مولاك الكريم فتنساه فأنساك فصرت حينئذ اخس من الحيوانات حتى من الكلب لان الكلب يجرى سريعا الى ما امره صاحبه ولوكان الى جبل عال او وهدعميق ويحرس بيته كل وقت حتى لاينام فى الليل الا ساعة والحال لايرجو من صاحبه الا شيئا تافها بالنسبة الى اعماله وهو لقمة صباحا وكذلك مساء مع امكان وجدها من غير صاحبه وانت كفرت نعمة ربك التى لايمكن ان تدركها من غيره مع كثرتها حتى لاتحصى كما قال تعالى: وَاِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا من وجودك وصحتك وطعامك وشرابك ولباسك ومسكنك وغيره مما لايمكن أن توجد الامن ربك وخالقك ولاتفوت عنها ولو لحظة ومالك حينئذ ان تنساه وتعصى امره وما ذلك الا لكونك اسير الهوى وعبد الشهوة بل قد سلط عليك الشيطان اللعين ويوسوس لك ان عمرك طويل والدنيا باقية لاتفنى ابدا

الابدين وانه ما انت عليه من النعم ادركت بارادتك وقدرتك حاشا كلا.

ويخاف عليك سوء الخاتمة ان لم تتب وهذا يعنى كونك اسير الهوى وعبد الشهوة البطنية والفرجية عصيان منك وسبب لتأخرك فى دنياك عن درجات الكمالات وخسران مبين لآخرتك وايضا هو سبب لضيق رزقك بدليل قوله تعالى: وَلَوْ اَنَّ اَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوا لَكَفَّرْنَا عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَاُدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ اَنَّهُمْ اَقَامُوا التَّوْرٰةَ وَالْاِنْجِيلَ وَمَا اُنْزِلَ اِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَاَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ اَرْجُلِهِمْ.

وقال ص م: مَا ظَهَرَ الْغُلُولُ اى الانهزام فِى قَوْمٍ اِلَّا اَلْقَى اللّٰهُ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ وَلَا فَشَا الزِّنَا فِى قَوْمٍ اِلَّا كَثُرَ فِيهِمُ الْمَوْتُ وَلَا نَقَصَ قَوْمٌ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ اِلَّا قُطِعَ عَنْهُمُ الرِّزْقُ وَلَا حَكَمَ قَوْمٌ بِغَيْرِ حَقٍّ اِلَّا فَشَا فِيهِمُ الدَّمُ اى القتل وَلَا نَكَثَ قَوْمٌ بِالْعَهْدِ اِلَّا سَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْعَدُوُّ.

الفصل الثانى فى إكثار الذكر

ايها الانسان اذا اردت التقرب الى مولاك فاذكره ذكرا كثيرا لان الذكر باب الله الاعظم كما قال القائل:

والذكر اعظم باب انت داخله ✲ لله فاجعل له الانفاس حراسا

والذكر ايضا يحى القلوب والغفلة تميتها فلا تكن من الغافلين.

فيموت قلبك بل لا بد لك ان يكون اكثر أوقاتك مملوئة ومعمورة بالذكر من التهليل والتسبيح والتحميد والاستغفار ولا تكن ممن كان اكثر أوقاته لعبا ولهوا وغيرهما مما يشتغل القلب عن الله فخسران عظيم لك حينئذ وقد حث الله تعالى على إكثار الذكر بقوله : فَاذَا قَضَيتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ . قال ابن عباس اى برًّا وبحرا وعلى كل حال وَاذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صم قال ان الله عز وجل يقول انا مع عبدى ان هو ذكرنى وتحركت بى شفتاه رواه ابن ماجه وحبان فى صحيحه. عن ابى هريرة ايضا قال قال رسول الله صم ان لله ملائكة يطوفون فى الطرق فيلتمسون اهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم الى السماء قال فيسألهم ربهم وهو اعلم بهم ما يقول عبادى قال يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال فيقول هل روانى قال فيقولون لا والله يا رب ما راوك قال فيقول كيف لو راونى قال يقولون لو راوك كانوا اشد لك عبادة واشد لك تمجيدا واكثر لك تسبيحا قال فيقول فما يسألونى قال يسألونك الجنة قال فيقول وهل راوها قال يقولون لا والله يا رب ما راوها فيقول فكيف لو راوها قال يقولون لو انهم راوها كانوا اشد عليها حرصا واشد لها طلبا واعظم فيها رغبة قال فمم يتعوذون قال يقولون من النار قال فيقول وهل راوها قال يقولون لا والله ما راوها قال فيقول فكيف لو راوها قال يقولون لو راوها كانوا اشد منها فرارا واشدلها مخافة قال فيقول

اشهدكم انى قد غفرت لهم قال يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة قال هم القوم لا يشقى بهم جليسهم رواه البخارى بهذا اللفظ ورواه مسلم بلفظ قريب منه، ويستفاد من هذا الحديث ان الشخص ينتفع بعمل غيره عن ابى هريرة ايضا قال كان رسول الله صلعم يسير فى طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا رواه مسلم والترمذى ولفظه قالوا يا رسول الله وما المفردون قال المستهترون بذكر الله يضع الذكر عنهم اثقالهم فيأتون الله يوم القيامة خفافا المستهترون هم المولعون بالذكر المداومون عليه لا يبالون ما قيل فيهم ولا ما فعل بهم، يعنى لا يكترثون بما قيل لهم من اللوم والعيب كذلك بما فعل بهم من الاذاء كالضرب وغيره لانهم حينئذ متلذذون بالمذكور ومتنعمون به فغاب عن عقلهم وفكرهم وحواسهم، كل ما غير المذكور من الاكوان بل هم باقون مع الله المذكور فلا يشغلهم غيره عنه والحاصل ان فائدة الذكر وفضيلته مما دلت عليه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية فعليك ايها الانسان ان تلازم الذكر حتى صرت متلذذا ومتنعما بالذكر ولا تكن من الغافلين المتلاعبين لئلا تكون من المباعدين المحجوبين .

الفصل الثالث فى محاسبة النفس بعد العمل

واذكر اولا فضيلتها ليرغب فيها طالب الآخرة ثم نبين حقيقتها أما فضيلتها فقد قال : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ، يعنى ان الله سبحانه وتعالى قد امرنا ان ننظر ما عملنا العمل الذى ينفعنا فى الاخرة ام لا فاذا وجدناه فنشكر الله وإن لا

فلنندم ونتوب الى الله وقال عمر حَاسِبُوا أَنفسكُم قَبلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَزِنُوهَا قَبلَ أَن توزَنُوا رواه ابونعيم فى الحلية من طريق ثابت بن الحجاج اه اتحاف وفى الخبر انه صم جائه رجل فقال يارسول الله أوصني فقال اسْتَوصِ أَنْتَ ، اى قابل وصيتي فقال نعم قال اذا هممت بأمر فتدبر فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه. وقال تعالى: وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون. والتوبة نظر فى العمل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقد قال صم انّي لأَستغفر الله تعالى وأتوبُ اليه فى اليوم مائة مرة وعن عمر رضى الله عنه انه كان يضرب قدميه بالدرة اذا جنه الليل ويقول لنفسه ما عملت اليوم وحقيقته المحاسبة بعد العمل فقال الامام الغزالى اعلم ان العبد كما يكون له وقت فى اول النهار يشارط فيه نفسه على التوصية بالحق فينبغى ان تكون له فى آخر النهار ساعة يطلب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها، ثم تحركت ولم سكنت وفى اى شيء تحركت وفى اى شيء سكنت كما فعل التجار فى الدنيا مع الشركاء فى آخر كل سنة اوشهر اويوم حرصا منهم على حوز متاع الدنيا وخوفا من ان يفوتهم منها مالوفاتهم لكانت الخيرة لهم فى فواته ولوحصل لهم ذلك فلا يبقى الا اياما قلائل ثم يفنى فكيف لا يحاسب العاقل نفسه اى كيف يترك العاقل محاسبتها فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة ابدا لا بد ما هذه المساهلة الاعن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك ومعنى المحاسبة مع الشريك ان ينظر فى رأس المال وفى الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فان كان من فضل

حاصل استوفاه وشكره وان كان خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه فى المستقبل فكذلك رأس مال العبد فى دينه الفرائض وربحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصى وموسم اى زمان هذه التجارة جملة النهار ومعامله اى شريكه فى العمل نفسه الامارة بالسوء فليحاسبها على الفرائض اولا فانها رأس ماله فان أداها على وجهها بادابها وشروطها شكر الله تعالى عليه ورغبها فى مثلها وان فوتها من اصلها طالبها بالقضاء فانه يحكى الاداء وان اداها ناقصة الشروط والاداب كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعقوبتها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفى منها ما يتدارك به ما فرط فعقوبتها على التقصير سنة الاولياء والصالحين كما يصنع التاجر بشريكه ثم ان الانسان اذا حاسب نفسه فرآها خانت وضيعت لزمه امور احدها ان يتدارك بالتوبة والجبر كما تقدم فان لم يستطع لغلبة الشهوة عالج نفسه بالمعاقبة فلا يهملها وان اهملها سهل عليه مفارقة المعاصى وانست بها نفسه والفتها وعسر عليه حينئذ فطامها لان الانس بالشىء يوجب الجمود عليه اى الاستقامة عليه وكان ذلك سبب هلاكه بل ينبغى ان يعاقبها بما يلايم جنس الذنب ويقابله فان لكل مرض علاجا فاذا أكل لقمة شبه بشهوة نفس فانه ينبغى ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم فينبغى ان يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من اطراف بدنه بمنعه عن شهواته هكذا عادة سالكى طريق الآخرة فقد روى عن منصور بن ابراهيم رحمه الله تعالى ان رجلا من العباد كلم امرأة اجنبية فلم يزل حتى وضع يده على فخذها ثم ندم على ما صنع فوضع يده على النار حتى فشت اى يبست ويحكى ان حسان بن ابى سنان مر بغرفة فقال متى بنيت هذه ثم اقبل على نفسه فقال تسألين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة فصامها ويحكى ان تميم الدارى

رضى الله عنه نام ليلة لم يتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذى صنع اه من الاحياء وشرحه مع تغيير يسير أنظر ايها المسكين الى حال الانبياء والاولياء كيف يحاسب نفسه كل وقت وساعة ونفس ويعاقب عليها اذا وقعت منها ذنب او غفلة وانظر الى سيد الخلق هو افضل الرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كانَ يستغفر الله كل يوم مائة مرة مع انه معصوم ومحفوظ من الله عن الوقوع فى الذنب صغيرا كان او كبيرا فكيف نترك المحاسبة والتوبة ونحن غارقون فى بحار الذنوب بشؤم فعلنا.

الفصل الرابع فى مجانبة امر النفس
(وتعلق القلب بالدنيا الفانية)

كنْ تابعا لامر الله ولا تكن تابعا لامر نفسك فتخسر وتهلك لانها عدوك والعدو لا يكون الا مجتهدا فى اهلاك عدوه ولكن لا تتركها بالكلية فتضر ايضا لانها عدوٌّ يشبه الصاحب لولاها لكرهت الاكل والشرب وهما سببان لتقوية البدن وهى سبب للعبادة فاذا تركت الاكل والشرب فلا تقدر ان تصلى وتصوم ولا تقدر ان تكتسب المعاش والمؤنة فحصل لك مضرة الدنيا ايضا بل المراد لا تتبع امرها السوء لانها كثيرة الامر بالسوء كما قال تعالى: انَّ النفسَ لَأَمَّارةٌ بالسُّوءِ. ولا تكن من المتعلقين قلوبهم بالدنيا من الاموال والاولاد والزوجة فانها فتنة عظيمة لك .. قال تعالى وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ. وقال ايضا: الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا انَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ

وَاَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ قال القائل:

ما المال والاهلون الا ودائع * فلا بد يوما ان ترد الودائع

فالدنيا مثل الريح يوما عندك ويوما عند غيرك بل هى سراب وظل واحلام لا وجود لها حقيقة قال الله سبحانه وتعالى: اِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى الْاَمْوَالِ وَالْاَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ اَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِى الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا. قال النبى صلعم الدُّنْيَا جِيفَةٌ قَذِرَةٌ وَطَالِبُهَا كِلَابٌ، وخذ من الدنيا قدر ما ينفعك ويقويك على العبادة واقنع منها باليسير ولا تطلب الزيادة مما يكفيك قال حكيم ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه اى من المال وغيره قال شارحه درء المفاسد عند العقلاء أهم من جلب المصالح فمن زوى الله عنه فضول الدنيا فرضى بذلك وقنع منها باليسير ولم يتطلع الى زيادة من مال او جاه فهو كامل العقل حسن النظر لنفسه لانه دفع عن نفسه مفسدة وجود الحزن بتركه لما يفيد حصول مصلحة الفرح الذى يزول عن قرب واعتاض من ذلك الراحة الدائمة كما قيل:

ومن سره ان لا يرى ما يسوؤه * فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا

فان صلاح المرء يرجع كله * فسادا اذا الانسان جاز به الحد

فالمفروح به هو المحزون عليه ان قليلا فقليل وان كثيرا فكثير ويحكى ان رجلا حمل الى بعض الملوك قدحا من فيروزج مرصعا بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء

عنده كيف ترى هذا قال أراه مصيبة وفقرا قال وكيف ذلك قال ان انكسر كانت مصيبة لاجبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان يحمل اليك فى امن من المصيبة والفقر فاتفق انه انكسر القدح يوما فعظمت مصيبة الملك فيه وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وامثال هذه المصيبة واعظم منها نازلة بكل من له علاقة شىء من اسباب الدنيا فاما ان لم تؤخذ منه بغضب او سرقة او جائحة نازلة فلابد ان يؤخذ هو عنها بالموت الهازم للذات المنغص للشهوات فان كان له الف محبوب مثلا نزل به عند الموت الف مصيبة لانه كان يحبها كلها وقد سلبت منه فى كرة واحدة ولذلك كانت الزهد فى الدنيا من قضايا العقل وقال الحسن رضى الله عنه كيف يسمى عاقلا وهو يمسى ويصبح فى الدنيا ومباهاة اهلها فى المطاعم والمشارب والملابس والمراكب اولئك هم الخاسرون واولئك هم الغافلون واولئك هم الجاهلون وانشدوا:

ايها المرء ان دنياك بحر * طافح موجه فلا تأمننها

وسبيل النجاة فيها بين * وهو اخذ الكفاف والقوت منها

انظر الى الذين قبلك من الاغنياء والرؤساء المتلذذين بأموالهم ورياستهم حال حياتهم حتى غفلوا عن العبادة بل هم منهمكون فى المعصية بسبب الاموال من الملابس والمساكين والمطاعم اللذيذ المتنوع ويظنون انهم ينتفعون بما ذكر فى الدنيا والآخرة والحال لاينفعهم شىء من ذلك فى اليوم هم محتاجون اليه اشد الحاجة وهو يوم القيامة قال تعالى وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى بل كل الدنيا الذى فى ايديهم منتقل الى غيرهم يوم موتهم يسكن بيوتهم ويركب مراكبهم ويزوج زوجتهم ويلبس ملابسهم وكذلك جميع حقوقهم وهم معذبون فى النار الجحيم وقيس

بدنك ايها الانسان فلا بد ان تكون كذلك أعنى اذا مت فجميع اموالك وحقوقك منتقل الى غيرك فلا تنتفع به إلا بما انفقت فى اوجه الخير وقت حياتك و إلا فخسران مبين لك وربح عظيم لغيرك.

الفصل الخامس فى عدم اتباع الهوى

لاتتبع الهوى فانه يمنع عن العبادة وعن التلذذ بها و يبعدك عن مولاك ويحجبك عن رؤيته وشهوده و يموت قلبك فلا يقبل المواعظ والنصائح ولا ينظر الى امر الآخرة ولا الى ما ينفعك فيها ولا يتفكر في عاقبتك من السعادة والشقاوة والجنة والنار ومعنى الهوى هو ميل القلب الى ما يهواه ويحبه و يرضاه من الامور التى ليست من الامور الاخروية كاللهو واللعب والخيلاء والتكبر والرياء وحب الرياسة والجاه وحب الدنيا كله وشره الكلام وشره الطعام وغيره من الصفات المذمومة فان اتبعت اهواك كنت من المغبونين فى الدنيا والآخرة أما فى الدنيا فظاهر لانك حينئذ مغبوض ومهجور عليك لا ينظر اليك الناس بعين الرضا بل ينظر بوجه كالح وعين حديد و يكفيك فى الخسران وأما فى الاخرة فلانك قد صرت من اهل اليسار بدلا عن اليمين ومن اهل النار بدلا عن الجنة النعيم المقيم قال تعالى: وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى قال ابن عطاء الله فى الحكم من علامات اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات. هذه هوحال اكثر الناس ومن الصور التى يتبين بها خفة الباطل وثقل الحق على النفس فاللازم للانسان اولا ان يؤدى الفرائض بحقوقها وآدابها ثم يفعل النوافل قدر طاقته

ووسعه ويلازم الاوراد بموجب مايترتبه شيخه كل يوم وليلة ويجاهد نفسه حق جهاده في ترك المنهيات من المحرمات والمكروهات والمباحات الزائدة على قدر ما يساعده على العبادة.

وليلازم الخضوع والتذلل والاخلاص والصبر على ما يصيبه من البلايا والمصائب ويوطن قلبه ونفسه على مقاساة الطاعات والعبادات حتى يكون الهوى تابعا للعقل السليم والدين المتين وللانسان مع هواه ثلاثة احوال الاولى ان يغلبه الهوى فيهلكه الثانية ان يغالبه فيقهرها مرة وتقهره مرة الثالثة ان يغلب هواه ككثير من الانبياء وبعض صفوة الاولياء وهذا المعنى قصد بقوله تعالى: واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى الخ وقصد النبي صم بقوله ما من احد إلا وله شيطان وان الله قد أعانني على شيطاني حتى ملكته. فان الشيطان يسلط على الانسان بحسب وجود الهوى فيه.

اعلم ان من شأن العقل ان يرى ويختار ابدا الافضل والاصلح في العواقب وان كان على النفس في المبداء مؤنة ومشقة وأما الهوى فعلى الضد من ذلك فانه يؤثر ما يدفع به المؤذى في الوقت وان كان يعقبه مضرة من نظر منه في العواقب مثل الصبي الرمد الذي يؤثر اكل الحلاوات واللعب في الشمس على اكل الدواء الذي يشفيه نحو الهليلج والحجامة ولهذا قال صم: حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وايضا ان العقل يرى صاحبه ما ينتفع به وما يضره والهوى يرى صاحبه ما ينفع له دون ما يضره ويعمى عليه ما يعقبه من المكروه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: حبُّكَ للشيءِ يُعمِي ويُصِمُّ. فينبغي للعاقل ان يتهم رأيه ابدا في الاشياء التي هي له لا عليه ويظن انه هوى لا عقل

ويلزمه ان يستقصى النظر فيه قبل امضاء العزيمة حتى قيل اذا عرض لك الامران فلم تدر ايهما اصوب فعليك بما تكرهه لا بما تهواه فاكثر الخير فى الكراهة قال الله تعالى وعسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وعسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ. ومما نبه على فساد الهوى قوله: وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمٰوٰتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ. يعنى لا اعطى كل انسان ما يهواه مع ان كل واحد يهوى ان يكون اغنى الناس واعلاهم منزلة وان ينال فى الدنيا الخير الابدى بلا مزاولة ولاتعلم لكان فى ذلك فساد العالم.

الفصل السادس فى الحياء

وهو صفة تمنع صاحبها عن ارتكاب ما ينقص درجته فلابد لك ايها الانسان من الحياء بأن تستحى من الله سبحانه وتعالى ان تفعل ما يكرهه وينهى عنه اوان تترك ما امره قال النبى صم لاصحابه: استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحى يا نبى الله والحمد لله قال ليس كذلك ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ومن اراد الآخرة ترك زينة الدنيا ومن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء اه رواه الترمذى باسناد حسن. فالحياء صفة من الصفات المحمودة وحالة من الاحوال السنية الحميدة بل هو اصل الايمان كما قال النبى صم: لا ايمان لمن لاحياء له. فمن كان له الحياء امتنع من فعل ما استحى منه من الافعال القبيحة السيئة سواء كانت تلك الافعال دنيوية او أخروية بخلاف من

ليس له الحياء فيفعل ما يشاء خيرا كان او شرا حلالا او حراما حسنا او سيئا قال النبي صم : اذا لم تستح فاصنع ما شئت . فالذي يحصل به الحياء هو شهود احسانه تعالى وانعامه فكم من نعمة الله انعمها عليك نحو الحياة والصحة وجميع الاعضاء نحو اليد والرجل والعين والاذان والانف واللسان والارزاق والمساكن والملابس فاذا كنت في المحافل والجماعة نحو الضيافة كنت استحييت وحفظت جميع اعضائك لاتحرك رأسك ولاتنظر بعينك الى ما لايليق لك وكذلك لاتصغ اذنيك ولاتتكلم استحياء من الناس وهو مثلك فكيف لاتستحي من مولاك وخالقك الذي احسن اليك غاية الاحسان بل كل مصالحك وما فيك لايأتي الا منه وكيف تجرأ عليه بترك ما امرك به وبفعل ما نهاك عنه اعني كيف لاتحفظ عينيك عن النظر الى المحرمات والمحظورات وكذلك لسانك لاتحفظ عن الكلام القبيح نحو الشتم واللوم والغيبة وغيره وكذلك ساير اعضائك الظاهر نحو الرجل واليد عن التخطي والمس الى المنهيات وبطنك عن أكل الحرام وفرجك كذلك ومالك لاتحفظ قلبك عن العجب والرياء والتكبر والحقد والحسد وغيره من كل المذمومة هل تظن ان مولاك لاينظر اليك ولايعلم ما فعلت كلا وحاشا بئسما فعلته .

الفصل السابع في التوبة

وهي أصل كل مقام وحال واول المقامات وهي بمثابة الارض للبناء فمن لاتوبة له لا حال له ولامقام كما ان من لا ارض له لابناء له وهي الرجوع من الاوصاف المذمومة الى الاوصاف المحمودة والراجع عن المخالفات ثلاثة أقسام : الاول من رجع عنها خوفا من عذاب الله فهو تائب

والثاني من رجع حياء من نظر الله فهو منيب والثالث من رجع تعظيما لجلال الله تعالى فهو اواب فعلى العبد ان يبادر الى التوبة وتحقيق حدودها ليتخلص من سخط الله تعالى ومقته ونار جهنم والنكال والاغلال ولينجو من هلاك الابد ويظفر بسعادة السرمد والقرب من باب الله ورحمته وينال رضوانه وجنته وليوفق للطاعة ولتقبل منه قال تعالى وَتُوبُوا اِلَى اللهِ جَمِيعًا اَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وقال ايضا يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا اِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا. التوبة النصوح ان يتوب العبد ظاهرا وباطنا عازما على عدم العود ويدل على فضل التوبة قوله تعالى اِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ. وشروط التوبة الندم على الذنوب الماضية بأن يندم ندما يحصل به الخوف والبكاء لتذكر أنواع العذاب وقضاء الفرائض وردّ المظالم الى اربابها وان لم يكونوا فإلى ورثتهم ثم التصدق عنهم بها واستحلال الخصوم ثم الاحسان اليهم والعزم على ان لايعود وتربية النفس في طاعة الله كتربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كاذاقتها حلاوة المعصية وترك صاحب السوء واصلاح المأكل والمشرب والملبس ولاينبغي للعبد المذنب ان يؤخر التوبة عنه فان الاجل مكتوم لايدرى متى يفجؤه الموت او المرض المفضى الى الموت قال النبي صلعم: هلك المسوفون. قال الغزالي رحمه الله تعالى: من ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمتين احدهما ان تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى تصير رينا فلا يقبل المحو. الثاني ان يعاجله المرض او الموت فلايجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد في الخبر: ان أكثر صياح اهل النار من التسويف وان أكثر صراخهم يأنف لمسوف، فما هلك من هلك الا بالتسويف ولاينجو الا من اتى الله

بقلب سليم وعلامة قبول التوبة تظهر فى ثمانية أشياء الاول ان يخاف فى امر لسانه فيمنعه من الكذب والغيبة وفضول الكلام ويجعله مشغولا بذكر الله وتلاوة القرآن الثانى ان يخاف فى امر بطنه فلا يدخل بطنه الا حلالا قليلا الثالث ان يخاف فى امر بصره فلا ينظر الى الحرام ولا الى الدنيا بعين الرغبة وانما يكون نظره على وجه العبرة الرابع ان يخاف فى امر يده فلا يمدها الى الحرام بل يمدها الى ما فيه الطاعة الخامس ان يخاف امر قدميه فلا يمشى بهما فى معصية الله تعالى وانما يمشى بهما فى طاعة الله تعالى السادس ان يخاف فى امر قلبه فيخرج منه العداوة والبغضاء وحسد الاخوان ويدخل فيه النصيحة وشفقة المسلمين السابع ان يخاف فى امر سمعه فلا يسمع الا الحق الثامن ان يخاف فى امر طاعته فيجعلها خالصة لوجه الله تعالى ويجتنب الرياء والنفاق.

الفصل الثامن فى ذكر الموت

اعلم ايها الانسان ان الموت باب فلا بد لك ان تدخله. قال تعالى: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وقال: كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وقال: قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. فليتفكر الانسان اولا ان الموت يأتيه بغتة لا يدرى به وثانيا انه اذا جاء لا يمكن ان يمهل له ولو طرفة عين وليكثر من ذكره حتى يحصل له الخوف ويزهد فى الدنيا ويرغب فى الطاعة قال صلعم: اكثروا من ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا. قال: كفى بالموت

مفرقا. وقال: كفى بالموت واعظا. وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكيس الناس فقال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا اولئك الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة ومن اكثر من ذكره اكرم بثلاثة اشياء الاول تعجيل التوبة والثانى قناعة القلب والثالث نشاط العبادة ومن نسى الموت عوقب بثلاثة اشياء الاول تسويف التوبة والثانى عدم الرضاء بالكفاف والثالث التكاسل فى العبادة اه تنوير القلوب.

واعلم ان الموت اذا نزل على الانسان صيره فقيرا بعد ما كان غنيا وصيره ضعيفا بعد ان كان قويا وذليلا بعد ان كان مكرما محترما وخرسا بعد ان كان فصيحا بليغا وهكذا لا ينفعه ماله ولا اولاده واحباؤه وصديقه بل لا ينفعه شىء الا العمل الصالح وكشف له عند الموت محله فى الجنة وقيل له هذا محلك لو كنت صالحا فالآن اتيناك بدله نار جهنم لكونك غافلا تاركا لما ينفعك فندم وخسر الذى لا يعمل والحال لا ينفع الندم حينئذ. وكذلك كشف له محله فى نار جهنم وقيل له هذا محلك لو كنت فاسقا مسيئا فالآن اتيناك الجنة بدلها ففرح وشكر من له العمل الصالح فى حياته فلذلك كان الناس عند الموت تارة تضحك وتارة تبكى وايضا انه اذا مات كان مكروها عند الاقارب فضلا عند الاباعد حتى حفروا له حفرة ورموه فيه وواروا سريعا وتركوه منفردا غريبا متوحشا فى اللحد الشديد الضيق فالحاصل ان الموت ينقله من صفة الى صفة أخرى اخس منها وليسمع كلام القبر كما ثبت فى الحديث الذى رواه ابن ابى الدنيا عن جابر قال: ان للقبر لسانا ينطق الحديث قال رسول الله صم يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بى الم تعلم انى بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة

وبيت الدود ما غرك بى اذا كنت تمر بى فدادا فان كان مصلحا اجاب عنه مجيب للقبر فيقول ارأيت ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر انى اذا اتحول عليه خضرا ويعود جسده نورا وتصعد روحه الى الله تعالى . وقال عبدالله بن عمير الليثى ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التى يدفن فيها انا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت فى حياتك مطيعا كنت عليك اليوم رحمة وان كنت عاصيا فأنا اليوم عليك نقمة انا الذى من دخلنى مطيعا خرج مسرورا ومن دخلنى عاصيا خرج مثبورا

قال عبدالله بن عبد بن عمير فى الجنازة بلغنى ان رسول الله صـم قال : ان الميت ليقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شىء الا قبره يقول ويحك ابن آدم أليس قد حذرتنى وحذرت ضيقى ونتنى وهولى ودودى فماذا اعددت لى .

الفصل التاسع فى تفكر شدة الخوف

واما شدة الموت وسكراته فلا يعرف حقيقته لولا الحديث يعنى لولا ان النبى صـم اخبرنا بشدته لا نعلم هل هو الموت شديد ام لذيذ . قالت عائشة رضى الله عنها : لا اغبط احدا يهون عليه الموت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله صـم رواه الترمذى بلفظ لا اغبط احدا يهون وروى البخارى عنها قالت لا اكره شدة الموت لأحد ابدا بعد النبى صـم وروى انه صـم كان يقول : اللهم انك تأخذ الروح من العصب والقصب والانامل اللهم فأعنى على الموت وهونه علىّ وعن الحسن ان رسول الله صـم ذكر الموت وغصته والمه فقال هو قدر ثلاثمائة ضربة

بالسيف وسئل رسول صلعم عن الموت وشدته فقال ان أهون الموت بمنزلة حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف قال العراقي رواه ابن ابي الدنيا في كتاب الموت من رواية شهر بن حوشب مرسلا اه قلت شهر اشعري شامي صدوق كثير الارسال والاوهام روى له البخاري في الادب المفرد ومسلم والاربعة اه اتحاف ودخل صلعم على مريض ثم قال اني اعلم ما يلقى ما منه عرق الا ويألم للموت على حدته اه احياء وشرحه . فاذا كان الموت شديد الالم ولا يمكن ان يدفعه او يسهله الا الله سبحانه وتعالى فلا بد لنا ان نطيع فيما امر ونعمل الذي يسهل الموت ملازمة السواك في كل وضوء وصلاة وكل انتباه من النوم اللهم هون علينا في سكرات الموت بجاه سيدنا محمد الحبيب المحبوب .

(كتاب الغرور)

اعلم ان لكل شيء مفتاح فمفتاح السعادة التيقظ والانتباه والفطنة وهي سرعة هجوم النفس على حقائق معاني ما توردة الحواس عليها ومنبع الشقاوة. وأصلها الغرور والغفلة ومعنى الغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع من شبهة وخدعة من الشيطان.

والغفلة عبارة عن فقد الشعور عما حقه ان يشعر به او هي الذهول عن الشيء وقيل هي متابعة النفس على ما تشتهيه قال الله تعالى في ذم الغرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقال ايضا في ذم الغفلة ولا تكن من الغافلين وقال صلعم: يا حبذا نوم الاكياس وافطارهم كيف يعيبون سهر الحمقى وصيامهم ومثقال ذرة من بر صاحب تقوى ويقين اعظم وافضل وارجح من امثال الجبال من عبادة المغترين

فأكثر الناس مغترون لكن غرورهم مختلف واختلف درجاتهم فيه حتى كان غرور بعضهم اظهر واشد من غرور بعض. واما الاشياء التي اغتر الناس المغترون بها كثيرة فبعض الناس اغتر بعلمه

أقسام المغترين

وهم اربعة اقسام

ـ القسم الاول ـ

اهل العلم المغترون منهم انواع

(النوع الاول)

منهم احكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها تعمقا شديدا واشتغلوا بها حتى بلغوا غاية الاتقان فى فنونها واهملوا تفقد الجوارح ولا يحفظها عن المعاصى ولا يلزمها على الطاعات الالهية بل هم مغترون بعلمهم وظنوا انهم عند الله بمكان ومنزلة وانهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم ولا يؤاخذهم بما عملوا بل يقبل فى الخلق شفاعتهم وانه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله هذا والله غرور فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا ان العلم قسمان علم معاملة وعلم مكاشفة.

فأما علم المعاملة وهو معرفة الحلال والحرام ومعرفة اخلاق النفس المذمومة والمحمودة. وكيفية علاجها والفرار منها فهى علوم لا تراد الا للعمل ولولا الحاجة الى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة ولا رتبة وكذلك كل علم لا يراد به الا للعمل فليس له قدر ولا قيمة اذا كان خاليا عن العمل فمثلك حينئذ ايها المغرور كمثل المريض به علة لا يزيلها الا

دواء مركب من اشياء كثيرة لا يعرفها الا حذاق الأطباء ومهرتهم فخرج لطلب الطبيب الماهر وهاجر وطنه وترك مألوفه حتى لقي طبيبا حاذقا فشكا له حاله وذكر له العلة فعلمه ذلك الطبيب الدواء وبين له الاشياء التي يتركب منها ذلك الدواء وفصل انواعها ومقاديرها وموازنها ومعادنها التي منها تجتلب تلك الاشياء وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطه وعجنه فتعلم وكتب ذلك منه نسخة حسنة بخط حسن ثم رجع الى بيته وهو يكرر هذه العلوم ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها أرأيت ان هذا يغني عنه من مرضه شيئا هيهات؟ بل لو كتب منه ألف نسخة وعلمه الف مريض حتى شفي جميعهم وكرره ألف مرة كل يوم وليلة لم يغنه من مرضه شيئا الا اذا اشترى ذلك الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحماء اى الحظر عن مناول ما يضاده واتباع جميع شروطه المعروفة واذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه تارة شفى الله بفضله وتارة لا يوجد الشفاء لحكمة الله سبحانه وتعالى فكيف اذا لم يشربه اصلا فاذا ظن ان ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذى احكم علم الطاعات ولم يعملها واحكم علم المعاصي ولم يجتنبها واحكم علم الاخلاق المذمومة ولم يزكى نفسه منها واحكم علم الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور غاية الغرور لان الله قال قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، ولم يقل قد افلح من تعلم.

كيفية تزكيتها وكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند ذلك يوسوس له الشيطان ويقول: ايها العالم لا يغرنك هذا المثال فان المعلم بالدواء لا يزيل المرض وانما مطلبك القرب من الله تعالى وثوابه والعلم يجلب الثوب كيفما كان ويقرب الى الله ويتلو عليه الاخبار الواردة فى فضل العلم نحو

قوله النبي ص م فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَى الْخَلْقِ وغيره ونحو قوله تعالى : لَا يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ وينسى ما ورد فى العالم الفاجر الذى لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل الكلب وكقوله تعالى: مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا. فأى خزى واهانة اعظم من التمثيل بالكلب والحمار وكقول نبي ص م : يلقى العالم فى النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحى . رواه ابن نجار من حديث ابى امامة بلفظ يؤتى بعلماء السوء يوم القيامة فيقذفون فى نار جهنم فيدور احدهم فى جهنم بعقبه كما يدور الحمار بالمرحى فيقال له ويلك بك اهتدينا فما بالك قال كنت اخالف ما كنت انهاكم عنه وعند الشيخين من حديث اسامة بن زيد يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق اقتابه فيدور بها فى النار كما يدور الحمار برحاه الحديث .

(النوع الثانى)

من العلماء المغرورين الذين احكموا العلم و العمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصى لكنهم لم يتفقدوا ولم يحثوا قلوبهم حتى يمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وحب الرياسة والجاه والعلاء وارادة السوء للاقران والنظراء وطلب الشهرة فى البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم كون ذلك مذموما فهو مكب عليها غير متحرز عنها ولا يلتفت الى قوله صلى الله عليه وسلم : ادنى الرياء شرك رواه واحب العبيد الى الله الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يتفقدوا واذا شهدوا لم يعرفوا اولئك أئمة الهدى ومصابيح الظلم وينسى

قوله صلى الله عليه وسلم: لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر. وقوله صم: الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب. ولا ينظر الى قوله صم ايضا حب الشرف والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الاخبار الواردة فى الاخلاق المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم واهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم: ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فتعهدوا الاعمال وما تعهدوا القلوب مع ان القلب هو الاصل اذ لا ينجوا الا من اتى بقلب سليم. مثال هؤلاء كبيت الحوش اى محل قضاء الحاجة ظاهرها جص وباطنها نتن او كقبور الموتى ظاهرها مزين بالعمارة وباطنها جيفة او كبيت مظلم وضع سراج على سطحه فاستنار ظاهره وباطنه وهذه الامثلة الثلاثة فى العلماء السوء لسيدنا عيسى عليه السلام.

(النوع الثالث)

علموا ان هذه الاخلاق الباطنة مذمومة من جهة الشرع لكنهم لعجبهم بأنفسهم يظنون انهم منفكون ومبعدون عنها وانهم ارفع عند الله من ان يبتليهم بذلك وانما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم فى السلم فاذا ظهر منهم التكبر وحب الرياسة والعلو والشرف قالوا ليس هذا كبرا وانما هو طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة الدين وارغام انف المخالفين لدين الله من المبتدعين وانى لو جلست فى المحل السافل او الدانى من الناس او لبست الثوب الخسيس لفرح به اعداء الدين وكان ذلى ذلا على الاسلام ونسى هذا المغرور عدوه الشيطان اللعين وهو يفرح بما فعله هذا المغرور وينسى ان النبى صم بما نظر الدين وبماذا ارغم انف

الكافرين ونسي ما روى عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يلام ويذم في بذاذة زيه عند قدومه الى الشام فقال سيدنا عمر : انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره اى من المفاخر نحو الثوب الرقيق والمراكب من الخيول المسومة واللباس المحرم نحو الحرير والابريسم كما هو شأن المغرور واذا اطلق لسانه بالحسد في اقرانه ونظرائه او فيمن رد عليه شيئا من كلامه قال ان هذا ليس حسدا بل هذا غضب للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه واذا ظهر منه الرياء قال ليس هذا من الرياء لان غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الناس بي فيهما ليهتدوا الى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله والحال انه لا يرضى باقتداء الناس بغيره بل هو يفرح باقتدائهم به ولو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يده او غيره وبعض الناس يغترون بحسن صورته ويتعجبون بها غاية العجب ويمشي في الارض تكبرا ومرحا ولا يرضى ان يقعد مع الناس الذي اخس منه صورة ويعتقد انه لما جعله الله تعالى حسنا وجمالا لا يناسب له أن يجالس مع غيره ولا يعقل ان الله لا يفضل احدا على احد الا بالعلم والتقوى ولا يتفكر ايضا ان الصورة هذه قد تزول سريعا بل ينظر الى الغير بعين الاهانة والاحتقار والاستهزاء ولو نظر نظرا حقيقيا وتأمل تأملا دقيقا ما في جسمه من الادناس والاقذار وفي باطنه من النجس لاستحى ولا يقدر هو ان يروح الى مجلس القوم لكن لما كان اعمى لتكبر على الناس وايضا لو تفكر في اصل خلقه من اى شيء خلق هل من ذهب او فضة او غيرها من الجواهر او من الشيء القبيح قال تعالى: فلينظر الانسان مما خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب.

يعنى أصله منى لو شم ريحه لتقياه ولو نظر بعينه لغمض ولو مس بيده لغسل بالماء والصابون بل لو قام قدام المرايا ونظر الى صورته وهى أحسن صور.

(النوع الرابع)

قوم احكموا العلوم الشرعية من علم الحلال والحرام وعلم الصفات القلوب وعمروا اعضائهم بالطاعات من الاعمال الصالحات واجتنبوا ظواهر المعاصى وتركوا الحرام والمكروه وبحثوا وتفقدوا حالا من الاحوال القلبية من العجب والرياء والحسد والحقد والكبر وطلب العلو والرياسة والجاه وجاهدوا انفسهم فى التبرى منها وقلعوا منابتها الجلية القوية ولكنهم بعد يغترون بهذه الحال ولا يفتشوا خفايا مكايد الشيطان ولا خديعة النفس مادق وغمض مدركه ولا يفطنوا لها واهملوها مثال هذا المغرور كمثل من يريد تنقية الزرع من الحشيش وتخليصها منه فدار عليه وفتش عن كل حشيش راه فقلعه لكن انه لم يفتش على ما لم يخرج رأسه وظن ان كل حشيش وغيره قد ظهر وبرز والحال انه مستور لدقته وغموضة وبعد ما رجع الى بيته خرج وانبسط تحت التراب ويطلع مع الزرع فصار غالبا والزرع مغلوبا فلا يأتى ثمره فكذا ان العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا ويذهل عن الدقاين والدقائق فاعتقد انه قد سهر ليله ونهاره فى جمع العلوم وترتيبها وتحسين الفاظها وجمع التصانيف فيها ويرى ان باعثه الحرص على اظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعثه الخفى هو طلب الذكر وانتشار الصيت فى الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الافاق وانطلاق الالسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له فى المهمات وايثاره فى الاغراض

والاجتماع حوله للاستفادة والستلذاذ بحسن الاصغاء عن حسن اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الرؤس الى كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والاتباع والمستفيدين والسرور بالتخصيص بهذه الخاصة من بين ساير الاقران والاشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن به من اطلاق لسان طعن فى الكافة المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن ادلال بالتمييز واعتداد بالتخصيص ولعل هذا المسكين المغرور قصده فى الباطن عما انتظم له من علو وامارة وعز وانقياد وتوقير وحسن ثناء فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من أعماله فعساه يتشوش عليه قلبه وتختلط اوراده ووظائفه وعساه يتعذر بكل لفسه وربما يحتاج الى ان يكذب فى ستر عيبه ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين اذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فلو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من اصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه وانه اكثر تبعا او غيره فيفرح ان كان اتباعه اكثر وان علم ان غيره احق بكثرة الاتباع منه ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة تغايروا وتغايروا التبوس فى الزرب وتحاسدوا ولعل من يجيء الى واحد منهم قبل اذا انقطع الى غيره وترك الحضور بين يديه لثقل على قلبه وكرهه ووجد فى نفسه نفرة منه فلا يهتز باطنه لاكرامه ولا يتجهد فى قضاء حوائجه كما يتجهد من قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما كان يحرص عليه فيما مضى

(النوع الخامس)

الذين اغتروا بعلم الفتاوى فى الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح العباد اسم الفقه بها وسموه

علم الفقه والمذهب ومع ذلك ضيعوا الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا جوارحهم ولا يحرسون لسانهم عن الشتم واللوم ولا عن الغيبة والكذب ولا يحفظون بطونهم عن مأكولات الحرام والشبهة ورجلهم عن المشى الى السلاطين وارباب الاموال ولم يحفظوا آذانهم عن سماع اللغو واللهو وكذلك سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والرياء والحسد وسائر المهلكات فهؤلاء مغرورون من وجهين احدهما من حيث العمل والآخر من العلم . مثالهم كالمريض الذى تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكريره وتعليمه ولا يستعمل فلا ينفعه ذلك ما لم يستعمل تلك الدواء بل مثالهم كمن به علة البواسير او البرص والبرسام وهو مشرف على الهلاك ومحتاج الى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وبتكريره ليلا ونهارا مع انه يعلم علم اليقين بأنه رجل لا يحيض ولا يستحاض ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة لامرأة وتسألنى عنها . فأجيبها وذلك غاية الغرور فكذلك المتفقه المسكين قد يسلط عليه حب الدنيا وحب الرياسة واتباع الشهوة والحسد والكبر والرياء وساير المهلكات الباطنة وربما يختطفه الموت وهو لم يتب عن ذلك ولم يدرك ما فاته فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك العلم الذى يتعلق ببدنه وقلبه وترك العمل به واشتغل بعلم السلم والاجارة والظهار واللعان وغيرها مما لا يتعلق ببدنه وقلبه كعلم الحيض مع انه لا يحتاج الى شىء من ذلك فى عمره لنفسه قط وان احتاج غيره فكان فى المفتين كثيرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والرياسة والمال وقد دعاه الشيطان وما يشعر به اذ يظن هذا المغرور بنفسه انه مشغول بغرض دينه وليس يدرى ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية هذا ان كانت نيته صحيحة كما قال وكان قصده بالفقه وجه الله تعالى فانه وان قصد به وجه الله فهو باشتغاله بذلك

العلم معرض عن فرض عينه فى جوارحه وقلبه وترك العلم المهم وهو علم الاخلاق وترك ايضا الفقه عن الله بادراك جلاله وعظمته الذى يورثه تهذيب الخوف والخشوع والهيبة وغيرها وسبب غروره ما سمع فى الشرع من تعظيم الفقه كالخبر من يرد الله به خيرا يفقه فى الدين ولم يدر ان المراد بالفقه وهو فقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوه واما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التى هى الصفات المذمومة فهى الحجاب بين العبد وبين الله واذا مات ملوثا بهذه الصفات كان محجوبا عن الله تعالى.

(النوع السادس)

من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصوم ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهة فهو طول النهار والليل فى التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران والتلقف لانواع التسبيبات المؤذية وهؤلاء هم سباع الامة طبعهم الايذاء وهمهم السفه ولايقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم لمباهة الاقران فكل علم لايحتاجون اليه فى المباهة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرون ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ ويسخرون بالذى يشتغل به ويجهلونه هذا الذى كثير وجوده فى زماننا ولذلك خرب البلد بل الدنيا كلها خربت حتى اساء الولد لوالده والمريد لشيخه وقال فى التنوير: العلم النافع هو الذى يستعان به على طاعة الله تعالى ويلزمك المخافة من الله تعالى والوقوف على حدود الله وهو علم المعرفة بالله وقال الشيخ عبد الرحمن السلمى رضى الله عنه: كل علم لايورث صاحبه الخشية والتواضع

والنصيحة للخلق والشفقة عليهم ولا يحمله على حسن معاملة الله تعالى ودوام مراقبته وطلب الحلال وحفظ الجوارح واداء الامانة ومخالفة النفس ومباينة الشهوات فذلك العلم الذى لا ينفع وهو الذى استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم: فقال اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع وقد قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه: كان العلماء ربيع الناس اذا نظر اليهم المريض لم يسره ان يكون صحيحا واذا نظر اليهم الفقير لم يودّ ان يكون غنيا وقد صاروا اليوم فتنة على الناس وفى بعض الاخبار المروية عن رسول الله صـم: يأتي على الناس زمان لا يبقى من القرآن الا رسمه ولا من الاسلام الا اسمه قلوبهم خربة من الهدى ومساجدهم عامرة من ابدانهم شر من تظل السماء يومئذ علماؤهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود وفى الحديث عن رسول الله انه قال يخرج فى آخر الزمان رجال يختلسون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من السنتهم احلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله تعالى: ابى تغترون ام على تجترءون فبي حلفت لأبعثن على اولئك فتنة تدع الحليم منهم حيران رواه عنه ابو هريرة الا زماننا هذا هو الزمان الذى وعده الرسول لاشك بل قد وجد فيما مضى نعوذ بالله من شره وقال وهب بن منبه رضى الله عنه لعطاء الخرساني كان العلماء قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم وكانوا لا يلتفتون الى دنيا غيرهم وكان اهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة فى علمهم فاصبح اهل العلم فيها اليوم يبذلون لاهل الدنيا علمهم رغبة فى دنياهم فاصبح اهل الدنيا قد زهدوا فى علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم وقال ذا النون المصرى رضى الله عنه كان الرجل من اهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركا له فاليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حبا ولها طلبا وكان الرجل ينفق ماله على علمه ويكسب الرجل اليوم

بعلمه مالا وكان يرى على طالب العلم زيادة فى باطنه وظاهره فاليوم يرى على كثير من أهل العلم فساد فى الباطن والظاهر فانظر رحمك الله الى ما ذكره هؤلاء الفضلاء تجده لازما لطالبة الزمن وسبب هذا كله غرور وشهوة فاحذروا ايها الطلبة من الغرور.

(النوع السابع)

الذين اشتغلوا بوعظ الخلق وتذكيرهم واعلامهم رتبة من تكلم فى اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والاخلاص والصدق ونظائره وهو مغرور يظن انه اذا تكلم بهذه الصفات ودعا الخلق اليها فقد صار موصوفا بها ومنفكا عند الله عن ضدها من الصفات المذمومة الا عن قدر يسير لاينفك عنه عوام المسلمين وغرور هؤلاء اشد الغرور لانهم يعجبون بأنفسهم غاية العجب ويظنون انهم ماتبحروا فى علم المحبة الا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الاخلاص الا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا عيوب النفس الا وهم عنها منزهون ولولا انه مقرب عند الله فالمتصف بهذه الظنون يرى انه من الخائفين وهو آمن من الله تعالى ويرى انه من الراجين وهو من المغترين المضيعين ويرى انه من الراضين بقضاء الله وهو من الساخطين ويرى انه من المتوكلين على الله وهو من المتوكلين على العز والجاه والمال والاسباب ويرى انه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الاخلاص للناس ويترك الاخلاص اى لا يتصف هو به الحاصل كل ما كان محمودا عند الله من الصفات والاخلاق فهو متصوف بمحض الذكر والعلم به وكل ما كان مذموما عند الله من الصفات المذمومة فهو منفك وعار عنه بمجرد الاعلان وتخويف الناس وتبعيده عنه واذا بين النار وعذابها الناس فهو

خارجها واذا بين الجنة ونعيمها فهو داخلها والناس خارجها فهؤلاء اعظم الناس غرة وابعدهم من التنبه والرجوع الى الحق لان المرغب فى الاخلاق المحمودة والمنفر عن المذمومة هو العلم بغوائلها وفوائدها. وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه فبأى شىء يعالج به نعوذ بالله من ذلك الداء.

(النوع الثامن)

قوم عدلوا عن المنهاج الواجب فى الوعظ وهم خطباء ووعاظ اهل هذا الزمان كافة الامن عصمه نادرا فاشتغلوا فى وعظهم بالطامات والدواهى والمصائب وغيرها من الكلمات العقم وتخليط كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا للاغراب على الحاضرين ليتعجبوا وبعضهم شغفوا بطيارات النكت اى المسائل الدقيقة التى اتعجبت الخواطر فى استنباطها من مكانها وبتسجيع الالفاظ وتلفيقها بكلمة اخرى كاللغة الافرنجية والانكليزية والحكايات العربية وغرضهم فى جميع ذلك ان تكثر فى المجالس الزعقات اى الصيحات والضحكات فهؤلاء شياطين الانس وهم اشر من شياطين الجن ضلوا واضلوا عن سواء السبيل. فان الاولين وان لم يصلحوا انفسهم فقد اصلحوا غيرهم بكلامهم وصححوا كلامهم ووعظهم لجعلهم الوعظ على منهاج الكتاب والسنة واما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله ويجرون الخلق الى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصى ورغبة فى الدنيا لاسيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب الفاخرة والخيل والمراكب فان هيئته هذه تشهد من فوق رأسه الى قدمه بشدة حرصه على الدنيا فما يفسده هذا المغرور أكثر مما يصلحه بل لا يصلح أصلا ويضل خلقا كثيرا ومنهم الذين

من الحلال خوفا من الوقوع فى الحرام وفى هؤلاء من يخرج الى الاسراف فى صب الماء والحال انه منهى عنه وقد يطول الامر حتى يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها وان لم يخرجها عن وقتها فهو ايضا مغرور لما فاته من فضيلة اول الوقت فانه رضوان الله وان لم يفته فهو مغرور ايضا لاسرافه فى الماء وان لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذى هو اعز الاشياء فيما لو مندوحة عنه الا ان الشيطان يصد الخلق عن الله بطريق شتى ولا يعد على منع العباد الا بما يتخيل اليهم انه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك ومنهم من غلب عليه الوسوسة فى نية الصلاة كلما نوى وسوس عليه الشيطان ان هذه النية لم تصح حتى تفوت عليه الجماعة ويخرج الصلاة عن وقتها وقد يوسوس عليه الشيطان فى تكبيرة الاحرام حتى يغير صيغة التكبير شدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك فى أول الصلاة ويغفلون فى جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم ويغترون بذلك ويظنون انهم اذا اتبعوا انفسهم فى تصحيح النية فى اول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم ومنهم من غلبت عليهم الوسوسة فى اخراج حروف الفاتحة من مخارجها وكذلك سائر الاذكار فلا يزالون يكررون احتياطا فى تأدية الحروف المشددة ويحتاطون فى الفرق بين الضاد والظاء ولا يهمهم غيره فى جميع صلاتهم ولا يتفكرون فيما سواه ذاهلين عن معنى القرآن الذى هو المقصود بالذات وعن الاتعاظ به ولا يصرفون فهمهم الى اسراره وهذا من اقبح الغرور لانه يكلف الخلق فى تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت به عادتهم فى الكلام فى محاوراتهم ولذلك لم ينقل عن احد من السلف الصالح هذا التشدد ومثال هؤلاء كمن حمل الرسالة الى مجلس السلطان وامر ان يؤديها على وجهها فشرع فى تأدية الرسالة ويحسن فى مخارج الحروف ويكررها

اللغة والنحو فافنى هؤلاء اعمارهم فى دقائق النحو وفى صناعة الشعر وغريب اللغة فهؤلاء كمثل الذين اشتغلوا بالوسائل وتركوا المقاصد ويظنون انهم واصلون الى غرضهم وهم مكرمون عند ربهم ناجون من العذاب الاليم ولكنهم لايعلمون ان المحتاج اليه من النحو واللغة ما يتعلق بالكتاب والسنة من غير تعمق فى كل منهما فاما التعمق فيه الى الدرجات لاتتناهى فهو فضول مستغنى عنه خارج عن منهاج الدين

(القسم الثانى)

ارباب العبادة والعمل والمغرورون منهم كثيرة فمنهم المغرورون فى الصلاة ومنهم فى تلاوة القرآن ومنهم فى الحج ومنهم فى الغزو ومنهم فى الزهد وكذلك كل مشغول بتنهج من مناهج العمل فليس خاليا من الغرور الا الاكياس وقليل ماهم وتحت كل انواع كثيرة ايضا

(النوع الاول)

قوم اهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا فى الفضائل حتى خرجوا الى حد العدوان والسرف كمن يغلب عليه الوسوسة فى الوضوء فيبالغ فيه ويكرر غسل الاعضاء وقد لا يرتضى الماء المحكوم بطهارته فى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة فى النجاسة لكن اذا آل الامر الى اكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة فى تحريمه بعيدة وربما اكل الحرام المحض ولو قلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام بأن يجعل البعيدة قريبة فى الطعام والقريبة بعيدة فى الماء لكان سيره اشبه بسير الصحابة رضى الله عنهم كما كان سيدنا عمر رضى الله عنه توضأ بماء فى جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان يدع ابوابا

يظن انه على الخير فيهمل الفرائض ويطلب النوافل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور .

(النوع الرابع)

الذى اغتر بالحج فيخرج الى الحج من غير اخراج نفسه عن المظالم التى تترتب على ذمته ومن غير توبة عن المعاصى من قضاء الدين الذى عليه ولا يطلب الزاد الحلال ويضيع فى الطريق الصلاة والفرائض ويرضى بالمكس والظلمة حتى يؤخذ منه فى ابتداء سفره او فى وسطه ولا يرجع عنده ولا يحذر من الرفث والخصام المنهى عنهما وربما جمع الحرام وانفقه على الرفقاء فى الطريق رياء وسمعة بين نظرائه فيعص الله فى كسب الحرام اولا وفى انفاقه عليهم رياء ثانيا ثم يحضر البيت المكرم بقلب ملوث برذائل الاخلاق وذميم الصفات ولم يقدم تطهيره على حضوره البيت وهو مع ذلك يظن انه على خير من ربه وما اقبح غروره .

(النوع الخامس)

الذى زهدوا فى المال واكتفوا بالدون من اللباس والطعام ويرضون ان يسكنوا فى المساجد بدلا عن البيوت وظنوا انهم ادركوا بذلك رتبة الزهاد مع انهم راغبون فى الرياسة والجاه والفخار .

إما بالعلم او بالوعظ او بحلقة الذكر اذ لو كان غيرهم اعلم منهم او كان الناس الحاضر فى مجلس وعظه او فى حلقه ذكره اكثر ممن كان فى مجلسهم لضاق عليهم الصدر فقد تركوا اهون الامرين وباءوا باعظم المهلكين فان الجاه اعظم من المال ولو تركوا الجاه واخذوا المال كانوا الى السلامة أقرب فهؤلاء مغرورون اذ ظنوا انهم من الزهاد فى الدنيا

ويعيدها مرة بعد اخرى وهو غافل عن مقصود الرسالة ومراعة حرمة المجلس فيستحق اللوم وتقام عليه السياسة ويرد الى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل فهكذا من فعل بحضرة ملك الملوك جل جلاله ولم يراع حرمة الحضرة فى اداء رسالته فانه يستحق التأديب

(النوع الثانى)

قوم اغتروا بقراءة القرآن فيهذونه ويسرعون فيه وربما يختمون فى اليوم والليلة مرة ولسان احدهم يجرى به وقلبه يتردد في اودية الامانى وشهوات النفوس اذلا يتفكر في معاني القرآن بزواجره ويتعظ بمواعظه ويعقب عنه اوامره ونواهيه فهو مغرور لظنهم ان المقصود من انزال القرآن الهمهمة به اى الكلم الخفى مع الغفلة عنه يغنى عن فهم معانيه فمثاله مثال عبد كتب اليه سيده ومالكه كتابا واشار عليه فيه بالاوامر والنواهى فلم يصرف عنايته الى فهم ما فيه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فقط واستمر على خلاف ما امره به مولاه مع انه مكرر لذلك الكتاب بنغمته وصوته كل يوم وليلة مائة مرة او زائدة فيستحق العقاب من سيده ومولاه لمخالفته لما امره به فى ذلك الكتاب بل المراد من انزال القرآن الذكر لحفظه وحفظه لفهم معانيه والانتفاع بتلك المعاني بحيث يفعل ما امر فيه وينتهى عما نهى عنه ويتأدب بآدابه.

(النوع الثالث)

المغرور بالصوم وقد يصوم الدهر او الايام الشريفة مع انه فيها لا يحفظ لسانه عن الغيبة وقلبه وخواطره عن الرياء وبطنه عن الحرام عند الافطار ولسانه عن الهذيان بأنواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك

اهم على فرض هو دونه وكذلك اذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت فالاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وان كان هو طاعة فى نفسه

القسم الثالث

جماعة متصوفة

المغترون منهم فرق كثيرة الفرقة الاولى متصوفة اهل الزمان إلا من عصمه الله تعالى وهم اغتروا بالزى والمنظر والهيئة الظاهرة والمنطق فتشبهوا بالصادقين من الصوفية فى زيهم وهيئتهم وفى ألفاظهم وفى آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفى احوالهم الظاهرة فى السماع والرقص والتواجد والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع اطراق الرأس وادخاله فى الجيب كالمفتكر وتنفس الصعداء يعنى كالمتأسف لما فاته شيء وفى خفض الصوت فى الحديث الى غير ذلك من الشمائل والهيئات والحاصل انهم شبهوا بهم فى لباسهم وهيئاتهم واحوالهم وتكلمهم فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها ظنوا انهم ايضا صوفية والحال انهم لم يتعبوا انفسهم قط فى الرياضة والمجاهدة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من اوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم ان يعدوا انفسهم في الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا انفسهم شيئا منها فهم عنها معرضون بل يتكالبون على الحرام والشبهات واموال السلاطين ويتنافسون فى الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم اعراض بعض مهما خالفه فى شيء من غرضه وهؤلاء غرورهم ظاهر الفرقة الثانية زادت فى الغرور على الفرقة التى تقدمت اذ يشق عليها الاقتداء بهم فى بذاذة الثياب

وهم لم يفهموا معنى الدنيا ولم يدروا ان منتهى لذاتها الرياسة وان الراغب فيها لابد وان يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومتصفا بجميع خبائث الاخلاق

(النوع السادس)

قوم اغتروا وحرصوا على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض الا ترى ان احدهم يفرح بصلاة الليل وبصلاة الضحى وامثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها فى اول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل ما تقرب المتقربون الى بمثل اداء ما افترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان احدهما يفوت والاخرى لايفوت او فضلان احدهما يضيق وقته والاخرى يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه فهو مغرور ونظاير ذلك اكثر من ان تحصى فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وانما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل وتقديم فروض الاعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لاقايم به على ما قام به غيره وتقديم الاهم من فروض الاعيان على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لايفوت وهذا كما يجب تقديم حاجة على حاجة الولد اذ سئل رسول الله عليه الصلاة والسلام فقيل له من ابر يا رسول الله قال امك قال ثم من قال امك ثم من قال امك قال ثم من قال اباك قال ثم من قال ادناك فأدناك فينبغى ان يقدم فى الصلة الاقرب فان استويا فالاحوج فان استويا فالاتقى وكذلك من يفى ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغى ان يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض

الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وانما يغتر به من لم يجرب واما نحن فقد جربنا وادركنا ان ذلك محال وزعم هذا ظاهر البطلان لان المكلف به ليس هو قلع الشهوات والغضب ونحوهما من اصله بل انما كلفوا قلع مادته بحيث ينقاد كل واحد منها لحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح لا وزن لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة اى مهيمة بحب الله وواصلة الى معرفة الله وانما نخوض فى الدنيا بأبداننا وقلوبنا عاكفة فى الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون انهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية وان الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها وهذا غرور فحش الغرور وسببه اغالط ووساوس يخدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ تقى فى الدين والعلم صالح للاقتداء به.

القسم الرابع

أرباب الاموال والمغترون منهم أنواع كثيرة:

(النوع الاول)

الذى يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وكل ما يظهر للناس كافة ويكتبون أساميهم بالاجر عليها لتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم وهم يظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين: احدهما انهم يبنون من اموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا والجهات المحظورة شرعا فقد تعرضوا لسخط الله فى كسبها فاذا عصوا الله بكسبها كان الواجب عليهم التوبة والرجوع الى الله

والرضا بالدون فى المعيشة وارادت ان تتظاهر بالتصوف ولم يتخذ بدا من الزين بزيهم يعنى لابد لهم من التشبه بلباسهم فتركوا الخز والابريسم وطلبوا المراقعات النفيسة والفوط الرفيعة والسجادات المصبوغة بالالوان المختلفة ولبسوا من الثياب ما هو ارفع قيمة ومن الخز والابريسم وظن احدهم مع ذلك انه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا ونسى ان اهل التصوف انما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لازالة الوسخ فيشغلهم عن المراقبة وانهم انما لبسوا المرقعات اذ كانت ثيابهم مخرقة يعنى قد بليت من طول الاستعمال. فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد ويكتفون بالقديم لانه يقضى الحاجة فى ستر العورة فاين حاله من حال الصوفية وبينهما بون عظيم فهؤلاء اظهر حماقة من كافة المغرورين لانهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الاطعمة ولا يجتنبون المعاصى الظاهرة فضلا عن الباطنة ومع ذلك يظنون بأنفسهم الخير. والثالثة ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال والملازمة فى عين الشهود والوصل الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالاسامى والالفاظ لانه تلقف وحفظ هذه الكلمات ويرددها ويظن ان هذا على علم الاولين والآخرين فينظر الى الفقهاء حينئذ والمفسرين والمحدثين واصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام ويدعى لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين والحال انه عند الله من الفجار المنافقين وعند ارباب القلوب هو من الحمقى الجاهلين.

الفرقة الرابعة وقفوا فى الاباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الاحكام ويستو عندهم الحلال والحرام وبعضهم يزعم ان الله مستغن عن عملى فلم اتعب نفسى وبعضهم يقول قد كلف الناس تطهير القلوب عن

وربما شوقهم به الى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك فى بيوتهم ويشتغلون فى طلبه ووبال ذلك كله فى رقبته لان المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله .

(النوع الثالث)

قوم ينفقون اموالهم فى الصدقات على الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والافشاء بالمعروف ويكرهون التصدق فى السر ويرون اخفاء الفقير لما اخذه منهم جناية عليهم وكفران وربما يحرصون على انفاق المال فى الحج فيحجون مرة بعد مرة وربما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود فى آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم الرزق فيرجعون محرومين مساوبين عن الثواب يهوى بأحدهم بعيره اى جماله بين الرمال والقفار وجاره مأسور الى جنبه لايواسيه ولايسئل عنه والحال ان ادخال السرور على قلب المسلم وإغاثة اللهفان وكشف الضر وإعانة الضعيف افضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام هذا غرور اشد الغرور .

(النوع الرابع)

قوم من ارباب الاموال اشتغلوا بها يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التى لايحتاج الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج الى قمعه باخراج المال فقد اشتغل بالفضائل وهو مستغنى عنها ومثاله مثل من دخل فى ثوبه حية لسعته وقد اشرف

وردها الى ملاكها. إما باعيانها وإما برد بدلها عند العجز فان عجزوا عن الملاك بهلاك او فقد فكان الواجب عليهم ردها على الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب عليهم صرفها الى اهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة على المساكين من اهل بلدهم وهم لا يفعلون ذلك خيفة من ان لا يظهر ذلك للناس فيبنون الابنية بالاجر والحجارة وغرضهم من بنائهم الرياء وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء اسمهم المكتوب بها لا لبقاء الخير. والثانى انهم يظنون بأنفسهم الاخلاص وقصد الخير فى الانفاق على الابنية لكن لو كلف واحد منهم ان ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذى انفق عليه لشق عليه ذلك ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه او لم يكتب ولا انه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر الى ذلك.

(النوع الثانى)

ربما اكتسب المال من الحلال وانفق على المساجد وهو مغرور ايضا من وجهين: احدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون فى جواره او بلده فقراء وصرف المال اليهم أهم وافضل واولى من الصرف الى بناء المساجد وزينتها وإنما يخفف عليهم الصرف الى المساجد ليظهر ذلك بين الناس. والثانى انه يصرف الى زخرفة المساجد وتزيينها بالنقوش التى هى منهى عنها وشاغلة لقلوب المصلين عن الحضور وتختطف ابصارهم بالنظر اليها والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وجمع الهمة وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع اليه ومع ذلك يغتر به ويرى انه من الخيرات ويعد ذلك وسيلة الى الله تعالى بل قد تعرض سخط الله ويظن انه مطيع له تعالى وممتثل لامره

مثاله كالصائد يصيد الصيد فلما توجهه وامسكه بخليه حتى صار شاردا فخسر عليه هذا حاصل كلام امامنا الشيخ حجة الاسلام الامام الغزالى رحمه الله تعالى وافاض الله علينا بركته امين فاذا عرفت ما ذكره من اوجه الغرور وسببه وسبيله من اوجه الخير نحو العلوم والعبادات والاموال فلا بدّ لك من ان تداويه وتحك قلبك بالتوبة الصادقة من جراءعه وآثامه التى تراكمت فى عين قلبك وصارت حجابا لك من الله تعالى وبان تطلب المرشد الكامل العالم بالصفات المحمودات من المذمومات العارف بدوابها مع انه متلبس المحمودة منها وخال من المذمومة منها وان تطلب ايضا شخصا ينهض حاله ومقاله الى الله سبحانه وتعالى وتلازمه وتجعله خليلا لك حتى صيرت بمعاشرته وملازمته زاهدا لان الانسان على دين خليله كما قال النبى صم: المرء على دين خليله ومن يخالل السارق يميل اليه فيكذب ان لم يكن سارق مثله لحبه وكذلك من يصاحب الشارب الخمر فاقله ان يمدح ان لم يكن شارب مثله والمدح على الحرام حرام وهكذا لو تصحب من يزهد الدنيا ومن تبدلت اوصافه بالصفات المحمودات فأقل ما وجدت بصحبته اعترافك بنقصانك وخسيس فعلك ودنىء مرتبتك وذلك خير لك ان لم تكن زاهدا مثله لان من علم ان ما فعله سوء نقيص يرجى ان يتركه فى بعض الاوقات بخلاف من جهله فيلازمه ومعلوم ان ترك بعض السوء خير من فعل كله.

ولو فعله مع انه اعتقد حرمته لكان خيرا له من فعله مع اعتقاد حله لان الاول فسق والثانى كفر فاذا اغتررت بالعلم بان تريد ان ترتفع به فى الدنيا درجة وضعك الله تعالى فى الآخرة قال النبى صم: ما من عبد يريد ان يرتفع فى الدنيا درجة فارتفع الا وضعه الله تعالى فى الآخرة اكبر منها واطول رواه الطبرانى

على الهلاك واشتغل بطبيخ السكنجبين ليسكن به الصفراء فما فايدة السكنجبين مع انه قد قتلته الحية هذا غرور اخش الغرور.

(النوع الخامس)

قوم غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا بأداء الزكاة فقط ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الرديء الذى يرغبون عنه ويطلبون من يستخدمون فى خدمة اومن لهم فيه على الجملة غرض أيسلمون ذلك الى من يعينه واحد من الاكابر ممن يستظهر بحشمته لينال بذلك عنده منزلة فيقوم له بحاجاته وكل ذلك مفسدة للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور مع انه مطيع لله وهو فاجر اذ طلب بعبادة عوضا من غيره هذا وامثاله من غرور اصحاب الاموال لا يحصى.

(النوع السادس)

من عوام الخلق وارباب الاموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا ان ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون ان لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل وبغير الاتعاظ اجرا وثوابا وهم مغرورون لان فضل مجلس الذكر والوعظ انما لكونه مرغبا فى الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل فاذا لم تبعث عليه فلا خير فيها لان كل ما يراد لغيره اذا قصر عن الاداء الى الغير فلا قيمة له وربما اغتروا بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكاء وربما يسمع كلاما مخوفا كدخول النار وعذاب أليم فلا يزيد على ان يصفق بيديه ويقول باسلام سلم وتعوذ بالله اويقول سبحان الله ويظن انه قد اتى بالخير وهو مغرور اخش الغرور.

جاهلون بعيوب انفسهم يرى احدهم القذى فى عين اخيه ولا يرى الجذع فى عين نفسه فمن اراد ان يعرف عيوب نفسه فله اربعة طرق:

الطريق الاول: ان يجلس بين يدى شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على غايات الافات ويتبع اشارته فى مجاهدته وهذا شأن التلميذ مع استاذه فيعرفه استاذه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه

الطريق الثاني: ان يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا يلاحظ احواله وافعاله فما كره من اخلاقه وافعاله وعيوبه ينهيه عليه فهكذا كان يفعل الاكابر من أئمة الدين. كان عمر رضى الله عنه يقول رحم الله امرأ اهدى اليّ عيوبي وكان يسأل حذيفة ويقول له انت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنافقين فهل ترى علىّ شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلوّ منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه رضى الله عنه فكل من كان اوفر عقلا واعلى منصبا كان اقل اعجابا واعظم اتهاما لنفسه وفرحا بتنبيه اخيه على عيوب نفسه وقد آل الامر فى امثالنا وفى زماننا هذا الى ان ابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكون هذا دليلا مفصحا عن ضيق الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة فلو نبهنا منبه على ان تحت ثوبنا عقربا او حية لقبلنا قبولا حسنا ولتقلدنا منه لوما ومنة وفرحنا به واشتغلنا بازالة ذلك العقرب وقتلها والحال ان نكايتها على البدن وألمها يوم او يومان ونكاية الاخلاق السيئة على صميم القلب أخف واخش ان تدوم بعد الموت ابدا الاباد ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ونشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل ما قاله فنقول له وانت ايضا تصنع وتفعل كيت وكيت مثل ما فعلنا وشغلتنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه وتنبيهه ويكون ذلك من قساوة القلب التى أثمرتها

ولابد لك ايضا من كثيرة الاستماع الى حكاية الاولياء والصلحاء كيف يجاهد نفسه اسمع قول نبي عيسى قال اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن رأسه وليمسح شفتيه فاذا خرج الى الناس رأوا انه لم يصم واذا اعطى احدكم فليعط بيمينه وليخفه عن شماله واذا صلى احدكم فليدل عليه ستر بابه فان الله تعالى يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقد سئل حكيم من الحكماء عن علامة الصادق فقال كتمان الطاعة وقال احمد بن ابى الحوارى رضى الله عنه: من احب ان يعرف بشيء من الخير ويذكر به فقد اشترى فى عبادته لان من عبد الله على المحبة لا يحب ان يرى خدمته سوى مخدومه. وقال الحسن رضى الله عنه: ادركت اقواما ما من احد منهم يستطيع ان يسر شيئا من عمله الا اسره وكان الرجل ليجلس مع القوم وانه لفقيه وما يعلم به حتى يقوم ولقد ادركت اقواما يجمع احدهم القرآن وما يعرف به جاره ولقد ادركت اقواما يجتهدون فى الدعاء وما يسمعهم احد. وقال محمد بن واسع رضى الله عنه: ادركت رجالا كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة قد بلّ ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته وفى رواية ان كان الرجل ليبكى عشرين سنة وامرأته معه لا تعلم.

(يحكى) عن بنان الحمال رضي الله عنه انه قال كنت مطروحا طاويا على باب بنى شيبة سبعة ايام لم اذق شيئا فنوديت فى سرى ان من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اعمى الله عين قلبه. وفى بعض الكتب قال الله تعالى ان اهون ما اصنع بالعالم اذا مال الى الدنيا ان اسلبه حلاوة مناجاتي * ولا بد لك ايضا ان تعرف عيوب نفسك قال الغزالى رحمه الله تعالى: اعلم ان الله عز وجل اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فاذا عرف العيوب امكنه العلاج ولكن اكثر الناس

كثرة الذنوب واصل كل ذلك من ضعف الايمان نسأل الله تعالى ان يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوبنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يتبهنا ويعرفنا عيوبنا ومساوينا بمنه وكرمه .

الطريق الثالث : ان يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فان عين السخط تبدى المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاء يذكره عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن أيثنى عليه ويمدحه ويخفى عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لايخلو عن الانتفاع بقول اعدائه فان مساويه لابدوم ان تنتشر على ألسنتهم .

الطريق الرابع : ان يخالط الناس فكل ما رآه مذموما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها اليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم اذا الطباع متقاربه فى اتباع الهوى فما يتصف به غيره فلا ينفك هو عن اصله اوعن اعظم عنه اوعن شىء منه فلتتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا فلوترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاعن المؤدب وهذا كله من حيل من فقد شيخا مربيا ناصحا فى الدين والا فمن وجده فقد وجد الطبيب فليلازمه فإنه يخلصه من مرضه اهـ

وخذ الميزان لما فعلت هل هو خيرلك او شر فاذا فعلت شيئا مما امرك الله تعالى به يكون لك عنده الفرح والنشط من غيره فهو علامة الشهوة فلاخيرلك ولاثواب له وان وجدت نفسك فيه قبضا وكسلا فهو خيرلك فلتجاهد نفسك حتى تطيعك بما ينفع لك وتترك ما لاينفع مثلا اذا علمت الشخص فنشطت وفرحت واذا صليت وجدت كسلا فالصلاة

خير لك من التعليم واذا وعظت الناس طولت المواعظ وكثرت الامثال والحكايات فهو علامة الرياء وحب الرياسة وحب الشهوة فوعظك هذا ليس للانتفاع بل للجاه وللضحكة والصياح بل ليقال انك اعلم وافصح وابان فى كل ما ينفع للناس وايضا اذا كان للقوم قليلا فلا تكون كما اذا كان كثيرا هذا من علامة سوء نيتك.

آفات الدين ونواقضه

يعنى ان للدين آفات ونواقض وهى كثيرة. آفات الدين ثلاثة: فقيه فاجر وامام جائر ومجتهد جاهل رواه الديلمى عن ابن عباس معنى الفقيه العالم يعلم الحلال والحرام والواجب والمندوب والمكروه وغيره فاذا لم يعمل بما علمه بأن يأكل الحرام ويترك الحلال ويأكل الحلال مع الحرام فهو فاجر فاسق اى خارج عن الطاعة وكذلك اذا لم يفعل الواجب والمندوب نحو من يأكل الربا واموال اليتيم اويشرب الخمر وكل مسكر ونحو من لم يزكّ ماله اويترك الصلاة المكتوبة كما هو كثير الوقوع فى زمننا هذا فاذا كان العالم بهذا الحلال مع انه متبوع فمن باب اولى العوام ولاشك ان الدين منقوض بذلك الامام الجائر او الوالى او ملك من الملوك اذا حكم بين الناس بغير عدل وبغير ما انزل الله اويقبل الرشوة نقض الدين لان الدين هو العدل وقال تعالى: ومن لم يحكم بما انزل الله فهو من الطاغوت: واذا حكمتم بين الناس فاحكم بالعدل ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون. حديث العدل حسن ولكن فى الامراء احسن السخاء حسن ولكن فى الاغنياء احسن الورع حسن ولكن فى

العلماء احسن الصبر حسن ولكن فى الفقراء احسن التوبة حسن ولكن فى الشباب احسن الحياء حسن ولكن فى النساء احسن رواه الديلمى عن علي ورواه الشيخان عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلعم يقول كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، والامام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى اهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته . واما مجتهد جاهل فهوا كثر شىء افسادا فى الدين فكيف انه ادعى انه عالم مجتهد لكنه لايعلم شيئا من اللغة العربية واحوال الالفاظ من الخاص والعام وغيره واوجه الدلالة من دلالة النص والظاهر وكذلك احوال الكلام وموارد الاحاديث النبوية والآيات القرآنية وأسباب النزول ومحل الاجماع والقياس بل لايميز الضرر من النفع ولا يكون عنده شرط الاجتهاد رأسا بل ليس عنده التقوى وهو معتمد وعمدة فى الاجتهاد وحينئذ يقول ويفتى بما هواه ويحل ما كان محرما عند الله ويحرم ما كان حلالا وهكذا هذا هو الاكثر والاغلب فى زمننا وقال كما قال الوهابيون هم رجال ونحن رجال حتى أخطأ الائمة ما اجرئهم على الائمة والدين قال النبى صلعم: اجرأكم على الفتوى اجرأكم على النار، ورؤسا المجتهدين الجاهلين جمال الدين افغانى ومحمد عبده ورشيد رضا صاحب جريدة المنار كلهم ضالون ومضلون الناس هم مصلحون فى ظنهم بل هم مفسدون فى الدين اذا قيل لهم لاتفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون. اما الشيخ جمال الدين افغانى فقد ذكر العلامة الفاضل الدراكة من العلماء العاملين بالشريعة المطهرة الشيخ يوسف بن الشيخ اسماعيل النبهانى فى كتابه العقود اللؤلؤية فى المدائح المحمدية ذكر ان جمال افغانى من قبيل تسمية الصحراء

بالغرة سمى جمال الدين افغانى من اقبح المفسدين اصله فى الدين من بلد افغانى لما اراد الافساد في الدين طرده ملكها وسفى الى مصر وقام بها وافسد وابدع للناس مذهبا موافقا للعصر فى تيسير الاحكام وصار كل اناس صاحب مذهب ومجتهدا فى الاحكام حتى يجوزون الجمع والقصر فى بيتهم ويشربون المسكر اذا قيل لاتشرب قال شربتها بقصد الشفاء او قال ان هذه لم يسم خمرا . واما الشيخ محمد عبده فقد ذكر الشيخ يوسف ايضا قال : الذى اعلمه من حال الشيخ محمد عبده وكل من عرفه يعلمه كذلك انه حينما كان فى بيروت منفيا كان كثير المخالطة للنصارى والزيادة لهم فى بيوتهم والاختلاط مع نسائهم بدون تستر هذا مما يعلمه كل من عرف حاله فى هذه البلاد فضلا عن اسفاره المشهورة الى بلاد اوروبا واختلاطه بنساء الافرنج وارتكابه المنكرات من شرب الخمر واكل المنخنقة وترك الصلوات فكيف هو يكون قدوة واماما فى الدين ثم انه امام للفساق والمراق مثله وذلك تراهم على شاكلته لاحج ولاصلاة ولاصيام ولاغيرها من شرائع الاسلام ولايذهب الى مكة المكرمة اصلا مع استطاعته اليه سبيلا ومع اسفاره الى بلاد اوروبا مرارا . مات جمال الدين افغانى فى القسطنطنية ومحمد عبده في الأسكندرية وكل منهما قبل موته مغلوجا بلسانه وعظم الداء فيهما حتى قطع لسان كل منهما ولم يحصل فائدة حتى ماتا شر ميتة على اسراء الاحوال نعوذ بالله من ذلك . واما رشيد رضا فقد انكر سجود الشمس تحت العرش الذى ثبت بالحديث الصحيح رواه الشيخان . وصرح في جريدته المنار المؤرخ آخر رمضان ١٣٢٧ انه غير واقع ، وان رسول الله لم يعرف الامر وكان في جزء شعبان من العام ١٣٢٧ جوز للاسلام فى بيروت الكفر بإباحة لهم ان يدخلوا الكنيسة الكلية الامر كائنة ويعبدون الكنيسة العبادة

النصرانية مع اولاد النصارى وقلده من لا دين لهم بذلك ليتخذوه عذرا اه

اتقوا زلة العالم رواه العسكرى فى الامثال والديلمى من حديث عمرو بن عوف بزيادة وانتظروا فيئة وهو معنى حديث رواه البيهقى من حديث مجاهد عن ابن عمر وفيه اشد ما اخف وعلى امتى ثلاث زلة عالم وجدل منافق بالقرآن ودنيا تقطع اعناقكم فاتهموها على انفسكم. وفى زمننا وبلدنا هذه صارت الجريدة المنار وتفسير محمد عبده عمدة ومتعمدا فى دينهم وفتواهم وكذلك جريدة فيلا اسلام مؤلفه حسن بندو ع هذه الثلاثة اسباب لتسهل الدين والفتوى لعوام الناس الذي ادعى انه مجتهد بمجرد قرائة ذلك والحال انه جاهل ضال ومضل هذا من افات الدين فليحذر من اراد الاخرة احفظ دينك يحفظك الله ومن افات الدين الى الذهاب الى محل اللعب المحرم وكل محل المعصية مثل سينما اى دار شاشة البيضاء التى كثير فيها ما يجر الى المعاصى نحو تصوير العاشق والمعشوق وكيفية السرقة وغيره مع اختلاط الرجال والنساء فيها بغير تستر كم من رجل لا سيما الشباب صار خسيرا ومجنونا لذلك لا يتفكر فى ماله ودينه وهناك ايضا مخالطة الفساق واهل الهوى وهو سبب قوى فى تغيير القلوب لان القلب يسهل تقلبه من حال الى حال لا سيما الى احوال السوء والقبيح فاذا ذهب الانسان الى ما ذكر ورأى فيه ما تشتهى الانفس مال قلبه اليه ووقع فيه وكذلك اذا خالط اهل الفسق ارتسم فى قلبه كل ما فعل من السوء والمعصية كما قال النبى صم: المرأ على دين خليله فلينظر احدكم من يخالله وفى رواية اخرى المرأ مع من احبه متفق عليه. وقال حكم لا تصحب من لا ينهضك حاله ومقاله الى الله تعالى حديث: من احب قوما حشر معهم اورده الحاكم من احب دنياه اضر بآخرته ومن احب آخرته بدنياه رواه احمد والطبراني عن ابى موسى به مرفوعا جالسوا العلماء وسائلوا

الكبراء وخالطوا الحكماء اخرجه الطبراني والعسكرى عن ابى جحيفة مرفوعا بهذا فعلى الانسان ان يحافظ دينه وآخرته بملازمة العلماء والكبراء والحكماء ويجانب اهل الهوى والفساق واهل الدنيا ومن آفات الدين ايضا حب الدنيا من الاموال والاولاد والنساء وحب الرياسة والجاه وغيره من كل امر يشغلك عن الله هو مولاك ويمنعك من الامور الآخرة وحبك للمال بأن تفرح بوجوده وكثرته مع انك لا تشكر المعطى والمنعم هو مولاك وتحزن بنقصه وزواله مع انك لا تؤدى ما وجب عليك فيه او ندب نحو الزكاة واعانة المطر وانفاق من تلزم لك نفقته كزوجتك وولدك ووالديك ونحو الوقف والتصدق والهبة والقرض او تؤدى ما ذكر مع الكسل او لاجل الرياء او المدح والتفاخر هذا هو الذى يذم ويلام شرعا فضلا حبك المال بأن تجمع وتكثر لاجل ان تصرفه فيما لا فائدة فيه لا سيما فيما هو محرم نحو شراء آلات اللهو واللعب وشراء الخمر كما هو اكثر الناس فى زماننا هذا وكذلك حبك لولدك وانت لا تعلمه الدين من الواجبات والمحرمات والمندوبات والمكروهات ولا تأمرونه بالمأمورات ولا تنهون عن المنكرات فصار الولد عاصيا بسببك لكنك لا تعلم لاجل محبتك وكذلك حبك النساء بأن تتزوج بامرأة لاجل محض الشهوة لا للولد ولا لحفظ الدين فاذا قضيت شهوتك خليتها بلا علم ولا عمل كما قال النبى ص م حبك الشيء يعمى ويصم رواه ابو داود من حديث ابى درداء وقال تعالى: زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة وقال النبى ص م: حب الدنيا رأس كل خطيئة رواه البيهقى يعنى اذا تعلق قلبك بالشيء واحببته صار حجابا ومانعا لك من كل ما سواه فصرت اعمى واصم ونسيت قوله تعالى: ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده كلا لينبذن فى

الحطمة وما ادراك ما الحطمة نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة الآية وقوله تعالى: انما اموالكم واولادكم فتنة لكم ومنها ايضا الحسد وهو تمنّ زوال نعمة الغير وعودها اليك فان كان الغير غانيا تمنّ ان يكون فقيرا مسكينا وان كان محترما تمنّ ان يكون ذليلا وان كان كلامه مسموعا عند الناس او تلاميذه كثيرا او بيته واسعا او غيره ضاق صدرك وتمنّ زوال ذلك كله، قال النبى صم: الحسد يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل رواه الديلمى، اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب اليابس رواه ابو داود والحاكم واخرج احمد والترمذى. دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء هى الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعرة.

ومنشأ الحسد العجب وهو رؤية العبد النعمة التى اعطاها الله سبحانه وتعالى ولا ينظر اليه بل ينسبها الى نفسه فتعجبه نفسه وبعد ذلك نشأ منه الرياء وهو حب العبد ان يرى اعماله وتعلم حسناته ونشط فى العمل اذا كان فى محل رأسه الناس وقبض قلبه وكسل فيه اذا كان فى محل خال من الناس او كان فى بيته لا يرائه احد ثم تكبر وهو اعتقاد الشخص ان له فضلا ومزية وان غيره لا يساويه فيها تارة اظهر قدام الناس بلسانه او بفعله وتارة لا يظهر فاذا رأى عند غيره فضلا ومزية ضاقت صدره وضغن قلبه حقدا عليه وتمنّ زواله هذا هو الحسد قال النبى صم: المهلكات ثلاث إعجاب المرء بنفسه وشحّ مطاع وهوى متبع اخرجه العسكرى عن ابن عباس به مرفوعا. وقال تعالى: فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون. ستة أشياء: يحبط الاعمال الاشتغال بعيوب الخلق وقسوة القلب وحب الدنيا وقلة الحياء وطول الامل وظالم لا ينتهى رواه الديلمى عن عدى بن حاتم فالواجب للانسان ان يشتغل بعيوب نفسه لاجل ان يطهرها

عنها وان يتفقد جوارحه كل ساعة من لسانه وعينه واذنه ويديه ورجليه وبطنه وفرجه فاذا وجده متلبسا بالعيب فليتب توبة نصوحا..

خاتمة فى آداب طلب العلم

يا ايها الناس الطالبون للعلم اعلموا ان آدابه كثيرة الاول وهو أهمه النية والاخلاص والصدق. فقد قال الغزالى رحمه الله تعالى: أما بعد فقد انكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان وأنوار القرآن ان لاوصول الى السعادة إلا بالعلم والعبادة فالناس كلهم هلكى إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون كلهم على خطر عظيم. فالعمل بغير نية عناء والنية بغير اخلاص رياء وهو للنفاق كفاء ومع العصيان سواء والاخلاص من غير صدق وتحقيق هباء وقد قال تعالى فى كل عمل كان بإرادة غيره مشوبا مغمورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اهـ احياء علوم الدين. وقال سهل بن عبد الله التسترى: الناس كلهم سكارى الا العلماء والعلماء كلهم حيارى إلا من عمل بعلمه وقال ايضا فى رواية أخرى: الدنيا جهل وموت الا العلم والعلم كله حجة الا العمل والعمل كله هباء الا الاخلاص والاخلاص على خطر عظيم حتى يختم به اهـ اتحاف. فطلب العلم عمل من الاعمال فلا بد من النية وهو القصد المصمم لا يكون فيه شك وتردد فان كان الطالب مترددا بأن يكون قلبه تارة متعلقا بطلب العلم وتارة متعلقا بالدنيا فلا يحصل له العلم ولابد له من الاخلاص ايضا وهو ان لا يقصد غير وجه الله كمجادلة العلماء ومباهات العوام وتفاخر بين الأنام وجمع الاموال وغيره. والصدق وهو خمسة أقسام: الاول فى القول فى أقواله فلا يتكلم الا بالصدق لان

الكذب ذنب ومعصية والمعصية اذا نزلت فى القلب لايأتيه العلم لان العلم نور الله اى هداية الله وهولا يأتى للقلب العاصى . قال إمامنا الشافعى :

شكوت الى وكيع سوء حفظى * فأرشدنى الى ترك المعاصى
واخبرنى بأن العلم نور * ونور الله لا يهدى لعاصى

وكمال الصدق فى القول الاحتراز عن المعاريض. والثانى الصدق فى النية والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص وهوان لا يكون له باعث فى طلب العلم إلا الله تعالى. الثالث صدق العزم وهو الجزم فيه بقوة قوة تامة ليس فيها ميل ولاضعف. الرابع الصدق فى الوفاء بالعزم فاذا عزم فلاتغلبه شهوته باحلال عزمته. الخامس الصدق فى الاعمال وهوان يجتهد حتى لاتدل اعماله الظاهرة على امر فى باطنه وهو لا يتصف به ومن قام على هيئة الخشوع فى صلاته مثلا لا يرى غيره ولكنه فى الباطن قائم فى السوق بين يدى شهوته فهوكاذب بلسان الحال فى عمله غير صادق فيه وقال النبى صم: إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى الَى الْبِرِّ وَالْبِرُّ يَهْدِى الَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا وان الكذب يهدى الى الفجور والفجور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا.

الثانى : من آدابه العمل بمقتضاه فلابد للمتعلم ان يعمل بما علمه شكرا لله رب العالمين الذى شرح صدره له وقذف نوره فى قلبه وليزداد علما قال الله سبحانه وتعالى: ولئن شكرتم لازيدنكم وقال صم: من عمل بما علمه ورثه الله تعالى علما ما لم يعلم . وايضا ان العلم امام والعمل تابع ومأموم فاذا ركع الامام فليركع المأموم وكذلك العلم كالشجر فالمقصود منه ثمرته وهو العمل بمقتضاه فلا فائدة للشجر اذا لم يكن له ثمر

قال ابن رسلان فى زبده:

فعالم بعلمه لم يعملن * معذب من قبل عباد الوثن
وكل من بغير علم يعمل * اعماله مردودة لاتقبل

وقال النبي صم: اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه علمه.

الثالث، جدّ واجتهاد. فلابد لك ايها الطالب من الجدّ والاجتهاد ليحصل لك ما اردت سريعا امسك قول من جهد وجد ولاتضيع الاوقات لان الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك بل رتب الاوقات بين الدرس والمطالعة او المذاكرة مع أقرانك وللعبادة واجعل منها للراحة ايضا لقول النبي صم ريحوا انفسكم مذاكرة العلم تسبيح وإراحة النفس تنشيط لها قال معاذ رضى الله عنه تعلموا العلم فان تعليمه حسنة وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث فيه جهاد وبذله صدقة وعن ابى الدرداء رضى الله عنه قال: الناس رجلان عالم ومتعلم ولاخير فيما سوى ذلك.

الرابع، احترام الكتاب لان الكتاب وسيلة للعلم ومعلوم ان للوسائل حكم المقاصد فكما ان احترام العلم واجب كذلك احترام الكتاب واجب فلاتكن ايها الطالب مستهلا ومهينا للكتاب كما كان الآن بعض الناس مهينا للكتاب بان وضع تحت مخدته وفراشه وفى بعض الاوقات لف كراسا او كراريس ووضع فى جيبه فصار كالقرطس المهان وحصل بعد ذلك خسران مبين عليه بسبب شقه خسرت الدنيا والاخرة نعوذ بالله من ذلك الفعل.

الخامس، اكرام واحترام الاساتذ والمشائخ وهو ان تقوم اذا جاء استاذك وشيخك قال النبي صم: قوموا الى سيدكم. وان لاتسئل قبل الاستئذان والاذان منه وان لاتعترض عليه وقت ضيق صدره ولاتسئل